ماستر 1

التخصص : دراسات نقدية .

مقياس : أدب الرحلة المقارن .

الأستاذ . د. بومدين كروم .

**إسبانيا في شعر أحمد شوقي.**

أحمد شوقي أمير شعراء العربية في العصر الحديث ، أسهم بجهوده الأدبية في النهضة بالأدب العربي الذي عانى الركود مدة طويلة ، غير أنه لم يكن ثائرا في تجديده ، ينتقل بالشعر من تقاليده الموروثة إلى النموذج الشعري الوافد من أوروبا ، بل تعامل مع النص الشعري تعاملا واعيا ، يستهدف إحياءه وتحديثه من داخله ، اعتزازا منه بتراث العربية الشعري الذي كان مولعا به ومتأثرا شعراءه الكبار في الجاهلية والإسلام .

قُدر لأحمد شوقي أن زار بلاد أوروبا وبخاصة منها إسبانيا وفرنسا التي تابع دراسته للقانون فيها في جامعتي باريس ومونبولييه . وتزامن مكثه فيها بالدعوة إلى التجديد في مضامين الأدب وأشكاله والثورة بالواقع المقيد للحريات ، والنزعة القومية ، غير أن الدارس لأدبه يلحظ أن تأثره بالواقع الجديد كان نسبيا تمثل في اقتباسه لفن المسرحية وكذا ازدياد اعتزازه بأصالته واعتداده بأمجاد أمته .

وقد تجلى اعتزازه بتراث أمته في شعره الذي تغنى فيه بماضي مصر وطنه ، وكذا بأمجاد العرب والمسلمين في فترات عزهم وعطائهم الحضاري .

ومن نماذجه الإبداعية التي استوحى فيها تاريخ أمته أنموذجان :

**النموذج الأول** : هو مسرحيته التي تأثر في شكلها نموذج المسرحية الغربية في بنائها الشكلي واستحضر فيها الواقع الأندلسي في أصعب فترة من تاريخه السياسي وهي فترة الطوائف التي أعقبت فترة الخلافة الزاهرة .

وعنون مسرحيته باسم **الأميرة بثينة** وهي بنت المعتمد بن عباد أمير حاضرة إشبيلية ، وكان فارسا شاعرا ، وهو أحد أطراف الصراع في المسرحية ، ويمثل كلٌّ من يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين الناهضة وألفونسو زعيم الحركة الصليبية التي رفعت لواء الاسترداد ، أي استرداد الأندلس بطرد المسلمين منها ، طرفيها الآخرين لتكتمل الصورة العامة لواقع مرير عاشه المجتمع الأندلسي صنعه الصراع المحتدم بين ألفونسو وملوك الطوائف من جهة ، ثم بين ألفونسو وملوك الطوائف والمرابطين من جهة أخرى ، ثم بين ملوك الطوائف من جهة والمرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين الذي قرر استنزال ملوك الطوائف استجابة لنداء أعيان الأندلس وفتوى كبار فقهائها ، ينتقل المعتمد بن عباد وأسرته بعدها من عز السلطان ورفاهة القصور إلى ضيق السجن وذل الأسر في أغمات المغربية إلى أن مات .

وقد عرف أحمد شوقي كيف يدير هذا الصراع ، مستفيدا من ثقافته الغربية في هذا المجال ، فصور مشاهده المؤثرة بشخوصه الحقيقيين والمستعارين ، وأجرى بينها حوارا بارعا وقف من خلاله على خلفيات الانكسار ، وأشار إلى أسبابه الظاهرة والخفية ، من فساد أخلاقي وسياسي ، ووهن عسكري ، فكان ناقدا لواقعه الاجتماعي باستحضار وقائع من تاريخنا مماثلة .

أما **النموذج الثاني** فهو **قصيدته السينية** التي عارض فيها قصيدة البحتري التي وصف فيها إيوان كسرى ، لكنه خص بمضمونها إسبانيا التي زارها وتجول في مدنها التي كانت ذات يوم حواضر مشرقة تشع علما وتمدنا ، فقال مستهلا :

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا الصِّبا ، وأيام أنسي

وصفا لي مُلاوة من شباب صُوِّرت من تصورات ومسِّ

ثم يشرع في ذكر مصر بطبيعتها ومدنها ونيلها معبرا عن حنينه الدافق إليها فيقول :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

ثم يذكر الرحلة ومشاقها ووسائلها فيبدع في وصف السفينة ، ثم يذكر بعض الأمم السابقة ومصارعها معللا ذلك بفعل الدهر فيها ، وأنها سنة الله في خلقه :

ومواقيت للأمور ، إذا ما بلغتها الأمور صارت لعكس

دول كالرجال ، مرتهنات بقيام من الجــدود وتعس

حَكمتْ في القرون(خوفو) و(دارا) وعفت (وائلا) وألْوَتْ (بعبس)

أين (مروان) في المشارق عرش أمويٌّ ، وفي المغارب كرسي

سَقِمتْ شمسُهم ، فردَّ عليها نورَها كلُّ ثاقب الرأي نَطْس

ثم غابت،وكل شمس سوى هاتيـ ك تبلى ، وتنطوي تحت رمس

وَعَظَ (البحتريَّ) إيوانُ (كسرى) وشَفَتْني القصورُ من (عبد شمس)

ثم يذكر قرطبة بما كانَتْه وما آلت إليه :

لم يَرُعْني سوى ثرىً قرطبيٍّ لَمسَتْ فيه عِبرةَ الدهر خمسي

قرية لا تُعَدُّ في الأرض،كانت تمسك الأرض أن تميد وترسي

فقد كانت دار ملك وعِزّ ، يحتكم ملوك النصارى إلى عدل خليفتها عبد الرحمن الناصر الذي زهت في عهده وازدهرت بمساجدها العامرة بطلاب العلم الوافدين إليها من كل حدب وصوب ،

وكأني بَلَغتُ للعلم بيتــا فيه ما للعقول من كل درس

قُدُسا في البلاد شرقا وغربا حَجَّهُ القوم من فقيه وقس

وعلى الجمعة الجلالةُ ، و(النا صر) نور الخميس تحت الدِّرَفْس

يُنزِل التاج عن مفارق (دون) ويحلي به جبين (البرنس)

غير أن الحياة قد فارقتها فانعدمت فيها الحركة وطالها الخراب :

وإذا الدار ما بها من أنيس وإذا القوم ما لهم من محس

ثم يذكر مسجد قرطبة ، فيصف منبره وسواريه وما ازدان به من النقوش ، مُهيبا ببانيه الأول عبد الرحمان الداخل ،ومن جاء بعده من الأبناء والأحفاد ، فيقول :

صَنعةُ (الداخل) المبارك في الغر ب ، وآلٍ له ميامين شُمس

ثم ينتقل إلى غرناطة ، حمراء الأندلس ،ذات الجبل الأشم المكسو بالثلج ، فيستطرد في وصف آثارها الباقية من حدائق غناء ، وقصور فخمة مجللة بأنواع الزينة ، وأُسود أبدع المثّال الأندلسي في صنعها تنثر ماءها الرقراق في حوضها المرمريّ ؛ إنه الذوق الرفيع والجمال البديع الدال عل تحضر أهله الذين غادروه مكرهين ، فأضحى وطنهم متعة للناظر ونزهة للسائح وعظة للمعتبر :

ومغانٍ على الليالي وِضاء لم تجد للعشـيِّ تكرار مس

لا ترى غير الوافدين على التا ريخ ، ساعين في خشوع ونكس

نَقَّلوا الطرف في نضارة آس من نقوش ، وفي عصارة وَرْس

وقبـاب من لازَوُرد وتِبر كالرُّبى الشُّمِّ بين ظل وشمس

وخطـوط تكفلت للمعـاني ولألفـاظها بأزين لبس

غير أن هذه المدينة التي كانت حصنا منيعا مهابا ، قد ورثها من ليس لها أهلا ، فباعها للعدا وسلم إليهم مفاتيحها وركب البحر بأهله في نعش كان في أيام العز عرشا مهيب الجناب ، منصورا غير مقهور :

ومفـاتيحُها مقاليد ملك باعها الوارثُ المضِيع ببخس

خرج القوم في كتائب صُمٍّ عن حفاظ ، كموكب الدفن خرس

ركبوا بالبحار نَعشًا ، وكانت تحت آبائهم هي العرش أمس

ثم يلجأ إلى ضرب الحكمة ، مبينا أن الأمور قد تختم بأضدادها ، وأن الملك قد يرثه من ليس أهلا ، فيهوي به من عليائه ، لأنه لا بقاء لأمة إذا فسدت أخلاق أفرادها وانكسرت القيم في بنائها :

رُبَّ بَانٍ لهادم ، وجموع لمشتٍّ ، ومحسن لِمُخِسِّ

إِمْرةُ الناس هَِّمةٌ ، لا تأتّى لجبان ، ولا تسنّى لجبس

وإذا ما أصاب بنيانَ قوم وَهْيُ خُلْق ، فإنه وَهْيُ أسّ

ثم يعود إلى بدء ، فيجدد الحنين إلى وطنه ، داعيا إلى الاعتبار بتاريخ الأمم والإفادة منه في بناء حاضرها ومستقبلها :

حَسْبُهم هذه الطُّلول عظاتٍ من جديد على الدهور ودَرْسِ

وإذا فاتَكَ التفاتٌ إلى المـا ضي فقد غاب عنك وَجْهُ التأسّي

وإذا ، فقد تجسدت في إبداعات أحمد شوقي الأدبية خاصتان ، الأولى : في إفادته الواعية من التجربة الأدبية الغربية في بناء مسرحياته . والثانية : في شعره ، فهو وإن لم يجار التطور الذي طال بناء القصيدة بمحافظته على عمود القصيدة العربية الأصيلة ، فقد أفاد من توجه الغرب ، الذي عاش بين ظهرانيه ، إلى الاعتزاز بقومياته وماضي أممه ، وقد تجلى اعتزازه بأمجاد أمته العربية الإسلامية في ماضيها التليد المشكَّل من لغتها الجميلة وقيمها الحضارية في شعره الغزير ومسرحياته العديدة ، بجلاء ووضوح .

ينظر للتوسع :

-ديوان أحمد شوقي .

-مسرحية أميرة الأندلس لأحمد شوقي .

-الأدب المقارن للدكتور محمد غنيمي هلال .

-التاريخ الأندلسي للدكتور عبد الرحمان علي الحجي